

مدارات
18 خطة تنكيك المنطقة دخلت حيز التنفيذ
رأي
19 النظام السعودي ومعضلة الذكورية الخارقة

القدس العربي

AL-QUDS AL-ARABI

E mail alquds@alquds.co.uk

Internet www.alqud:

Al-Quds Al-Arabi Volume 18 - Issue 5499 Monday 5 February 2007

يومية - سياسية - مستقلة

قوس الأزمة بعد العراق: تشوش واضطراب من البحر الأبيض المتوسط لشبه القارة الهندية (2 2):

العالم بحاجة لقيادة واعية تستطيع التفريق بين ألوان الطيف الإسلامي ولا
تحول كل منافس إلى عدو قاتل
أمريكا تخلت عن دعم صديقها السنيورة في حرب تموز لصالح حليفها
الاستراتيجي إسرائيل.



مولاي هشام

الأمير مولاي هشام بن عبد الله*

هذه ورقة، محاضرة أعدها مولاي هشام، الباحث والأكاديمي المغربي وأحد أعضاء العائلة المالكة تقدم رؤية تحليلية عن الوضع في العالم الإسلامي والعربي من المتوسط، حتى شبه القارة الهندية، وفيها إضاءات على محاور الأزمة التي صنعتها أمريكا في المنطقة خاصة بعد غزو العراق وسيناريوهات أمريكا لمواجهة إيران، وخسارتها للرأي العام في هذه المنطقة، وصور القوى اللاعبة والجديدة في المنطقة. ويقدم الكاتب هنا رؤية عن آثار التفكير التسيدي، والمتطرس الذي حملة دعاة المحافظين الجدد والذي انقلب عليهم، فالقوضى الإبداعية تحولت إلى الغوص في وحل العراق. ويركز الكاتب هنا على ثلاث عقد في قوس الأزمة، وهي العقدة العراقية - الإيرانية، والفلسطينية - اللبنانية، والأفغانية - الباكستانية.

«القدس العربي»

دفعت الولايات المتحدة ثمنا باهظا جراء الدور الذي لعبته في هذه الحرب. وكان منظر رئيس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة وهو يبكي مناشدا الولايات المتحدة التدخل ومنع إسرائيل من تدمير بلده، والرد البارد الذي تلقاه من أمريكا، يمكن أن يكون نقطة تحول في علاقات أمريكا مع العالم العربي، موجهة ضربة للدعاء الأمريكي عن الوسيط العادل. حركة الرابع عشر من آذار (مارس) التي انطلقت من خلال دعم أمريكي ل«ثورة الأرز»، وتم الترحيب بها باعتبارها الإصلاح الديمقراطي الذي أملت من خلاله أمريكا تعزيزه في العالم العربي. كان السنيورة صديقا لأمريكا كأى رئيس وزراء لبناني قبله، ولكن في وجه الرغبة الإسرائيلية لتلقي لبنان درسا، فلن يحصل السنيورة على الدعم الأمريكي.

بكلمات أخرى، أدارت الولايات المتحدة ظهرها لزعيم صديق يمثل ديمقراطية هشة - دولة لم تكن تمثل تهديدا لأمريكا أو إسرائيل، من أجل دعم الهجوم الإسرائيلي الشامل. ولم يصدر عن أمريكا أو أي سياسي بارز أي انتقاد للعدوان الإسرائيلي. كما حجبت أي محاولة لوقف إطلاق النار، وسارعت إلى تزويد إسرائيل بشحنات أسلحة جديدة أثناء الحملة. كان عميقا الانخراط الأمريكي لدرجة أنها سمحت للإسرائيليين كي يستخدموا مخزون الأسلحة الأمريكية والمعدات التي خزنتها في إسرائيل - على افتراض قيام القوات الأمريكية باستخدامها في حالة الطوارئ - في هجماتهم على لبنان. كما ضاعفت أمريكا من المخزون الطارئ، على أن تقوم إسرائيل باستخدامها في هجمات يرغبون بإطلاقها في المستقبل، كما قدمت أمريكا لإسرائيل مساعدة إضافية (4.5 مليار دولار) كضمانات لمساعدة إسرائيل دفع مستحقات حرب الصيف الماضي1.

أسلحة أمريكا كانت من ضمن ثلاثة مليون من كتل القنابل العنقودية التي أسقطت على لبنان، تم إسقاط 90 بالمائة منها في ال 72 ساعة الأخيرة من الحرب، وعندما كان الجميع يعرفون أن وقف إطلاق النار بات محتوما، حتى أن قائدا إسرائيليا اعترف قائلا «ما قمنا بعمله كان جنونا ووحشية، قمنا بتغطية بلدة كاملة بالقنابل العنقودية»2.

هذه السياسات قد تمر بدون أن يعلق عليها أو يبيتها الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنها تبث وتناقش بشكل واسع ومفصل في الإعلاميين الإسرائيليين والعربي. أخشى انه بعد هذه الحرب فانه سيكون من الصعوبة بمكان إقناع العالمين العربي والإسلامي/وليس فقط العالمين العربي والإسلامي/إن الولايات لن تقوم بخيانة حليف ظاهر، وتجاهل مبدأ يزعم انه من أجل دعم إسرائيل في أي عمل ترغب بالقيام به.

النتيجة هذه لم تكن تعبر فقط عنما وصفه السنيورة بأنها «تدمير لا يمكن تخيله للبنية التحتية المدنية في لبنان»3، ولم تكن فقط ضربة لموقف أمريكا ووضعها في الشرق الأوسط، إنها أيضا، كانت بمثابة أضعاف لحكومة السنيورة نفسها. فحزب الله يطالب الآن بدور أكبر في «حكومة الوحدة الوطنية» في «ثورة أرز» معاكسة يقوم حزب الله بتنظيم مظاهرات شوارع سلمية وضخمة ومنظمة، في تقليد ساخر لأساليب وتكتيكات قام بالثناء عليها وتشجيعها الغرب والولايات المتحدة. صار من السهل على حزب الله أن يصور السنيورة كرئيس وزراء ضعيف وغير قادر على الدفاع عن أمة من تغطرس إسرائيل وداعمتها أمريكا. في سياق الصراع الداخلي على السلطة وضمن مفهوم «ليست معنية بالظهور بمظهر من يدعم طرفا على آخر» تقوم الولايات المتحدة الآن بمضاعفة دعمها للجيش اللبناني، الذي كثف عمليات تجنيد وتنظيم أفراده من السنة والدروز اللبنانيين 4. منط الولايات المتحدة من كل هذا هو تعزيز قوة الجيش ليكون قادرا على نزع أسلحة حزب الله. ومن هنا فسيكون بمقدور حزب الله أن يتهم قائلا أن هذا سيساعد على خلق ظروف لاندلاع حرب أهلية، ويظهر أمريكا وحكومة السنيورة لا يمانعان من استخدام الجيش ضد المواطنين اللبنانيين وليس الدفاع عنهم ضد الغزاة الأجانب.

هزيمة إسرائيل

النتيجة، التي أجادل لصالحها، هي أن هجوم إسرائيل على لبنان، مع انه خلف وراءه الدمار الكبير، لكنه انتهى بهزيمة، وكما هو واضح كان هزيمة سياسية، خارج إطار الخطاب السياسي الضيق الأمريكي، فقد نظر لأعمال إسرائيل باعتبارها عدوانا شائنا. وبالنتيجة تبدو إسرائيل الآن معزولة في المنطقة وفي العالم. وكانت هذه أول هزيمة لإسرائيل منذ أمد طويل، فقد امتلك حزب الله معلومات استخباراتية وتكتيكات أحسن، فلم يفقد حزب الله القدرة على التواصل مع أفرادها، أو مواصلة بث الرسائل عبر التلفاز والراديو للمواطنين اللبنانيين بشكل عام، أو تكبيد الغزاة خسائر كبيرة. 5

ولم يكن بوسع الإسرائيليين تحقيق أي من أهدافهم، من نزع أسلحة حزب الله أو إطلاق سراح الجنديين اللذين أسرهما مقاتلو حزب الله.

والسؤال المائل الآن أمام إسرائيل فيما يتعلق بلبنان، كما هو مع أمريكا في العراق، هو إن كانت إسرائيل وأمريكا ستقبلان بالهزيمة، أو من خلال مضاعفة القوة العسكرية لتحقيق بعض أهدافهما، أو حتى إرجاع بعض القدرة على الردع. هل هذه الهزائم هي نذر الجيل الرابع من الحروب؟ أو أنها نكسات مؤقتة قابلة للإصلاح عبر استخدام قوة فاعلة وجديدة. هناك شيء واحد مؤكد: إن نموذج الحرب في صربيا وحرب الخليج باعتبارهما انتصارات مجانية وخالية من الضحايا، التي تتحقق عبر استخدام القوة العسكرية ذات التقنية العالية. هذا النموذج لم يعد قائما. فالمعارك الجديدة هي كلها عن السيطرة والتحكم الطويل بالسكان والحصول على ولاءاتهم. في هذه النزاعات، لم تعد القوة الجوية أيا كانت قدرتها على التدمير قادرة على تحقيق النصر الحاسم، ولا الاستقرار الدائم، وثمنها باهظ.

إن تدمير البنية التحتية المدنية للبلد، وزعزعة الانسجام الاجتماعي والسياسي له، وخلق ديناميكية تقود إلى الصراع الطائفي والحرب الأهلية: خاصة انه عندما تم تفعيل هذه الديناميكية في العراق، تركت آثارا رهيبية غير متوقعة. وعندما يتم وضع نفس العناصر في لبنان فإننا قد نعتبرها مصادفة، وعندما يتم الكشف عن نفس الديناميكية في سياق سياسي ثالث وفي نفس المنطقة، فلسطين، سيطلق عليه الكثير من المراقبين بأنه تحول لنمط، هذه على الأقل ملاحظات عرضية في هذا الاتجاه .

غيتو قدر محاط بسياج كهربائي

إن الوضع في الأراضي الفلسطينية هو كارثة إنسانية على قاعدة كبيرة، كارثة يمكن أن تؤدي لمفاقمة الأزمة وتوسيعها التي يتم إنكاؤها الآن في لبنان والعراق. يعتقد الإسرائيليون أن من حقهم القيام بما يرغبون عمله في الأراضي الفلسطينية، ومنذ «فك الارتباط»، الذي أقامت إسرائيل الدنيا وأقعدتها حوله، عامل الإسرائيليون غزة على أنها ليست إلا منطقة «حرة» للقصف وإطلاق النار. ومنذ انتصار حماس في انتخابات كانون الثاني (يناير). انضمت أمريكا وأوروبا إلى إسرائيل لتجويد وإجبار الفلسطينيين على رفض حكومتهم المنتخبة ديمقراطيا. النتائج الواضحة لهذه الحملات كانت انهيار النظام الاجتماعي والانحدار نحو دوامة الحرب الأهلية. وكما صور كاتب صحافي أمريكي ذكي الصورة الفظيعة لما يحدث:

«يعيش الفلسطينيون في غزة داخل غيتو مكتظ وقذر، محاطون بالجيش الإسرائيلي وسياج كهربائي ضخم، ليس بإمكانهم الخروج أو الدخول للقطاع ويتعرضون يوميا للهجمات. الجهود الإسرائيلية المحكمة لتدمير النظام والقانون وتعزيز الفوضى والجوع الرهيب، واضحة في شوارع مدينة غزة، حيث يمر الفلسطينيون من جانب أنقاض وزارة الداخلية الفلسطينية، ووزارة الخارجية والاقتصاد الوطني، وتعرض مقر رئيس الوزراء وعدد آخر من المؤسسات التعليمية لقصف جوي إسرائيلي. وتم مسح وتدمير محطة توليد الطاقة الكهربائية التي تزود القطاع بنسبة 45 بالمائة من الطاقة الكهربائية، وحتى شبكات الكهرباء والمحولات البدائية لم تسلم من القصف المتكرر. وتم تدمير ستة جسور تربط مدينة غزة ببقية أطراف القطاع، ومحيت معها الكثير من شربانات الحياة. وبنفس السياق تتحدر الضفة الغربية إلى أزمة بمستوى ما يحدث في غزة. ماذا تعتقد أمريكا وإسرائيل أنهما ستحققان عندما تحولان غزة والضفة الغربية إلى نسخة مصغرة عن العراق، هل تعتقد انه من خلال خلق «كابوس هوبسي» (نسبة للفيلسوف هوبس) للفلسطينيين يمكن ثنيهم عن الإرهاب، والحد من العمليات الانتحارية وتعزيز السلام؟» 6.

الأمل هو أن لا تصبح فلسطين أو لبنان نسختين مصغرتين عن العراق، إلا أن الأشكال واضحة، ففي تحايل واضح

وهو ما أثار اهتماما في الإعلام الإسرائيلي، تقوم الولايات المتحدة بمساعدة إسرائيلية بتزويد قوة 17 في غزة المرتبطة برجل فتح القوي محمد دحلان بأسلحة متقدمة، وبحسب المسؤولين الأمنيين الإسرائيليين والفلسطينيين، فقد أدت شحنات الأسلحة إلى تنافس للتسلح من جانب حماس»7.

أيا كانت النية، فمنطق الانقسام الاجتماعي والحرب الأهلية يتكشفان عبر السياسة الأمريكية في ثلاث مناطق كانت إسرائيل تعتبرها مناطق «مقاومة» تقف في وجه طموحاتها. فقد دعت الورقة الشهيرة التي أعدت عام 1996 لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو والتي كتبها عدد من المحافظين الجدد الذين شكلوا السياسة الأمريكية في عهد بوش إلى تحول واضح «نظيف» من الشعار المعروف «سلام شامل» لمفهوم تقليدي يشير إلى إستراتيجية تقوم على توازن القوة، وأوصت ان هذا يتم تحقيقه من خلال إزاحة صدام حسين عن السلطة في العراق ومواجهة قوية مع حزب الله وسورية وإيران، وبشكل عام زعزعة والحد من التهديدات الخطيرة - وفيما يتعلق بهذه الإستراتيجية فقد أنجزت المهمة، وإذا كانت الورقة «تحول نظيف أو واضح» قد دعت إلى زعزعة التهديد الفلسطيني من خلال رعاية بدائل عن سيطرة عرفات القوية على المجتمع الفلسطيني، فهذه الإستراتيجية تحتاج اليوم إلى إعادة تسليح فتح ضد الخيار الذي قامت (الإستراتيجية) بتعزيزه.8

إستراتيجية الدمار

قوام الإستراتيجية هو زعزعة الاستقرار، ومن المفهوم انه يوجد داخل المركز المتشدد في الصهيونية اليمينية من يعتقدون انه يجب إخضاع الفلسطينيين في الداخل أو ترحيلهم من كل الأراضي الفلسطينية التي تريد إسرائيل السيطرة عليها، والذين يعتقدون ان هذا ممكن التحقيق لو تم إضعاف كل جيران إسرائيل المتمردون بمن فيهم الفلسطينيون بحيث يفقدون القدرة على المقاومة. وهذا مفزع، مع انه ليس مثيرا للدهشة، رؤية هؤلاء المتشددون يحتلون مواقع جديدة في الحكومة الإسرائيلية، انه أمر صادم، ومجرد التفكير أن الولايات المتحدة ستسير، علاوة على أن تضع نفسها في مقدمة الداعمين لهذه الإستراتيجية المدمرة والتي تحمل دمارا ذاتيا من اجل مواصلة الدفاع عن مفهوم مضلل لما يعنيه أن تكون صديقا لإسرائيل.

ومع ذلك تبدو هذه الإستراتيجية في بعض الأحيان التفسير الوحيد، أكثر من كونه عجزا كبيرا غير واضح، لسلسلة من القرارات المتناقضة وذات الأثر السلبي التي اتخذتها الولايات المتحدة، وان أمريكا تتبنى هذه الإستراتيجية، أو يظهر للكثير من الناس أن أمريكا تبنت هذه الإستراتيجية، هو اكبر أمر مثير للقلق اليوم في العالم العربي والإسلامي، وليس فقط في العالمين العربي والإسلامي - وإذا كان هذا صحيحا فإنها ستكون اكبر تهديد على العالم اليوم. ويجب هنا التأكيد على أن اتباع هذه الإستراتيجية هو على الأقل خطير للولايات المتحدة وإسرائيل مثل خطورته على أي من الأهداف، والأصدقاء لا يساعدون بعضهم على تدمير أنفسهم.

وأمریکا بحاجة ملحة لمناقشة هذه الأمور بشكل مفتوح، وان تفهم أن دعمها غير المشروط لإسرائيل لا يصب في مصلحتها أو مصلحة إسرائيل، ولمنعها من الانحدار نحو هذا الطريق، وإذا كانت أمريكا، فعلا صديفة لإسرائيل، فعليها أن لا تقاوم فقط أي دعوة للسير في هذا الطريق، بل عليها أن تضع كل المعوقات السلمية الكفيلة بمنع إسرائيل من الانحدار لهذا الطريق. وكما أشار إلى هذا معلق إسرائيلي:

سياسات إسرائيل لا تشكل تهديدا على الفلسطينيين فقط ولكن على الإسرائيليين أنفسهم، دولة يهودية لا يتجاوز عدد سكانها 7 ملايين (منهم 5,5 ملايين يهودي)، ومحاطة بمئتي مليون عربي تقوم بوضع نفسها في مواجهة عدائية مع العالم الإسلامي كله، ولا يوجد أي ضمان من أن هذه الدولة ستبقى - إنقاذ الفلسطينيين يعني إنقاذ الإسرائيليين أيضا 9.

على إسرائيل أن تختار، هل ستحقق إسرائيل الأمن في المنطقة عبر إجبار جيرانها على الاعتراف بسيادتها، عبر الاستخدام الدائم للقوة العسكرية، المشفوعة بالدعم المالي والعسكري غير المحدودين من القوة العظمى الوحيدة في العالم؟ أو انه تحقيق أمنها من خلال إنشاء علاقات احترام متبادلة مع جيرانها؟ تبدأ مع الفلسطينيين. الخيار الأول، يقتضي عمليات ضغط سياسي ولوبي للسياسيين الأمريكيين ومراكمة أسلحتها النووية والتقليدية من اجل إبقاء جيرانها ضعافا. أما الخيار الثاني فيقتضي الاعتراف بالظلم الذي ارتكب ضد الفلسطينيين والاعتراف بحقوقهم والتفاوض حول حدود عادلة وأمنة بناء على القانون الدولي، وتخفيض مستوى العنف من خلال التفاوض على تخفيض عمليات التسليح، بما في ذلك التخلص من أسلحتها، ومنع ترسانات الأسلحة. الخيار الثاني قد يكون صعبا بالنسبة لإسرائيل كي تتساق معه، لكن الخيار الأول وهو المفضل لإسرائيل منذ عقود، قد استنفد حياته واستخداماته النافعة.

أفغانستان، الباكستان

إذا كانت الولايات المتحدة تحصد دوامة الهزيمة والنقمة، التي جاءت بسبب أفعالها، فبعيدا في الشرق على طول قوس الأزمة، فإنها (الولايات المتحدة) تواجه نقسة أخرى، حرجة ومحرجة. فمحاولة التقليل من تماسك عدوها، والتبسيط في فهم التحديات الثقافية والسياسية لبلد اكبر وأكثر كثافة سكانية من العراق، والاستعداد لتحويل الانتباه نحو جبهة أخرى إلى اتجاهه، في الوقت الذي تعتمد فيه على قوة إقليمية أخرى لها أجندة معقدة وغير متطابقة، فإن أمريكا وحلف الأطلسي (الناتو) يواجهان تحديا كبيرا في أفغانستان.

بعد هجمات أيلول (سبتمبر) 2001 لم يشكك أحد بحق أمريكا بملاحقة أسامة بن لادن والقاعدة من خلال القوة، والقرار بالإعلان عن حملة عسكرية واسعة بمساعدة الناتو من أجل إعادة تشكيل سياسة بلد، أمر محفوف بالكثير من المشاكل، فالنجاح يقتضي نصرا عسكريا حاسما، يتبعه التزام مالي وسياسي دائم من أجل تحقيق الإصلاح الاجتماعي. هذه الإستراتيجية تعتمد أيضا على شركاء صادقين ومحترمين محليين والملتزمين بشكل متساو بالإصلاح الاجتماعي.

في الواقع اعتمدت الولايات المتحدة على أمراء الحرب من أعضاء التحالف الشمالي من أجل تحقيق نتائج سريعة في الميدان، وقامت باستيراد رئيس من أجل «رصف» حكومة مركزية في كابول. كان أمراء الحرب حلفاء متقلبين، حيث أعطى فسادهم وقسوتهم مصداقية لطالبان، ولم يكونوا هم أو كرازي بقادريين على تبرير تواصل العمليات العسكرية الغربية على أنها جزء من أجندة جذابة وذات معنى للم شمل الجماعات القبلية المستقلة والولاءات الاثنية التي تميز الوضع الأفغاني.

وما أدى لسوء الوضع أيضا هو فشل الولايات المتحدة في التخلص من القادة البارزين في القاعدة أو طالبان، وقامت أمريكا بتحويل قوات مهمة كانت تلاحق بن لادن للعراق في لحظة حرجة. وكان واضحا، انه على الرغم من صلتها الواضحة بهجمات أيلول (سبتمبر). والحرب المعلنة على الإرهاب، فإن أمريكا اعتبرت أفغانستان بلدا ثانويا من ناحية الأهمية. وقد تجاهل الإعلام الأمريكي أفغانستان مفضلا للعراق عليها، كما أن التقدم أو عدمه لم تتم تغطيته بشكل عام في الاعلام الأمريكي.

ونتيجة لذلك واصل بن لادن والظواهري إصدار أشرطة الفيديو، كما أن اتباع طالبان الذين حافظوا على علاقات جيدة مع قبائل البشتون على طرفي الحدود بين أفغانستان والباكستان أعادوا تنظيم صفوفهم بقوة، وصاروا يمثلون تهديدا حقيقيا لقوات الناتو. فقد قام الفرنسيون بسحب أحسن قواتهم من أفغانستان، وليس معروفا كم هي المدة التي سيحافظ فيها حلف الناتو والدول الأخرى على قواتهم، أو ماذا ستكون فاعليتهم أو أثرهم على الوضع. وجود قوات محجوزة في المعسكرات بدون مساهمة في إدارة البلاد، وتخرج فقط من أجل تنفيذ هجمات وعمليات عسكرية، يؤدي لخلق وضع سياسي وعسكري غير محتمل مما يعني بقاء المبادرة في يد طالبان. فقد ذهب وزير الخارجية الباكستاني لحد أن يطلب من الناتو الاعتراف بالهزيمة و مغادرة أفغانستان 10.

لعبة الباكستان

إن المحاولة الأمريكية الخرقاء للتخطيط أو هندسة معركة تبدو نبيلة (مقنعة) وسهلة بينها وبين القاعدة تعثرت ليس في تعقيدات السياسة القبلية وسياسة أمراء الحرب، ولكن في لعبة خطيرة ومعقدة تلعبها الباكستان مع الأصولية الإسلامية. فمنذ عودة الحكم العسكري للباكستان، تبنت الحكومة الباكستانية ومخابراتها (اي اس اي) الأصوليين الإسلاميين وحاولتا السيطرة على عدد من الراديكاليين الإسلاميين لتحقيق أهدافهما الخاصة. فطالبان التي تجمع بين الهوية القبلية البشتونية والهوية الإسلامية، نظر إليهم كسلاح جيد ضد القوميين البلوش والتأثير الإيراني. فإيران التي كانت تعارض طالبان قدمت دعما تكتيكيًا للأمريكيين والتحالف الشمالي بعد أيلول (سبتمبر) وتساعد في إعادة أعمار البنية التحتية في أفغانستان 11. ومن هنا فباكستان قلقة من تزايد هذه القوة «اللينية» لإيران، طبعا، يظل مصدر الباكستان الرئيسي هو الهند وكشمير. ومن هنا تنتظر الباكستان للجماعات الإسلامية المحلية ودعمها للقضية الكشميرية، وتنتظر لحلفائها طالبان بدون القاعدة كمصدر لعمق استراتيجي ضد جارتها الهندوسية القوية. بالنسبة ل (اي اس اي) والمؤسسة السياسية فقد أضحت التحالف مع الإسلاميين جزءا بنويا في الإستراتيجية الإقليمية، وخلال الحرب ضد السوفييت فقد نوسبت هذه الإستراتيجية بشكل جيد في الأجندة الأمريكية والمقاومة الأفغانية، إذ كانت النخبة السياسية والعسكرية واثقة ان الهيكلية التقليدية والاجتماعية قد تتعايشان وتتحملان المدارس الأصولية التي كانت تنمو حولهما.

وقد أصبح الأمر صعباً لممارسة اللعب على طرفي السياج معا في الوقت الذي أصبح ينظر فيه لأمريكا باعتبارها غازية ومحتملة لأفغانستان وأماكن أخرى في العالم الإسلامي. فقبل عشرين عاما كانت أمريكا قادرة على تحويل الباكستان كأداة لاستخدامية الراديكالية الإسلامية. وتشعر اليوم الباكستان بصدمة واثار كل ضربة توجهها أمريكا للعالم الإسلامي، وأي فشل أمريكي في هزيمة طالبان بدون حرب طويلة مدمرة وفشلها في كسب قلوب وعقول المسلمين في أفغانستان والباكستان فان هذا سيضعف النظام الموالي لأمريكا في الباكستان نفسها.

وعليه تحاول الباكستان إقناع الناتو والحكومة الأفغانية للاعتراف بحتمية وجود «طالبان معتدلين» داخل أفغانستان، وتخلت عن سيطرتها على إقليم من أقاليمها - شمال وزيرستان - لطالبان. طبعاً فان هذا يهدد بخلق قاعدة يمكن أن يستخدمها طالبان غير معتدلين لتوجيه ضربات لقوات الناتو في أفغانستان، كما انها تعطي القاعدة والجماعات المتفرعة عنها ملجأً آمناً لاستيراد وتصدير المقاتلين والتكتيكات من العراق وغيره. فقد أصبحت الصلة الأفغانية - العراقية عبر القاعدة حقيقة واقعة، فالعمليات الانتحارية التي لم يكن الأفغان يعرفونها في الماضي هي إحدى التكتيكات التي تم استيرادها من العراق. ربما ستشاهد ما يمكن تسميته «تفعيد باكستان» و «بكسنة القاعدة».

في مشهد يظهر حجم السيطرة التي يملكها كلا الطرفين، كرازي يشجب مشرف الذي يشكو هو الآخر من عدم قدرته على عمل المزيد لمواجهة القاعدة. ومن هنا فان أي هزيمة أمريكية في أفغانستان ستحمل في طياتها كل عناصر زعزعة الاستقرار لباكستان، وقد لا يصل إلى درجة الوضع الذي وصل نقطة الالعودة كما في العراق ولكن الوضع في الباكستان يتدهور بشكل واضح، وكل جندي ورصاصة ودولار تستثمره أمريكا في العراق سيزيد من تدهور الأوضاع.

بعبارة قصيرة، نستطيع القول أن هناك قوس أزمة يمتد من المشرق العربي إلى شبه القارة الهندية، ولا يستطيع احد التكهن بالطريقة التي سيتم نزع التوتر والأزمة في المستقبل القريب. سيتم اتخاذ قرارات في الأشهر القادمة التي قد تسهم في مفاجمة الأزمات هذه، وقد تنذر بالتحول نحو خيار آخر، أي قرارات هادئة وعقلانية.

ومن اجل السير في هذا الاتجاه، هناك حاجة لقيادة في الغرب تفهم، إن القاعدة، البعث، حزب الله، حماس، سورية وإيران لا يمكن اختصارها واختزالها في المصطلح الإيديولوجي «إرهاب الشر». نحن بحاجة لقيادة قادرة على فهم الصلات، وتفكيك الروابط ونزع الفتيل من عناصر كل الأزمات. نحن بحاجة لطرف، مثلاً، مستعد للتعامل مع سورية، الدولة التي لا تهدد الولايات المتحدة، وقد ساعدت أمريكا في عدد من المناسبات، فلسورية مصالحتها الوطنية الخاصة في اللعبة والتوصل لعقد صفقة حول الجولان التي هي ارض سورية، فاستمرار الاحتلال الإسرائيلي للجولان لن يجلب أي نفع على الولايات المتحدة. وبنفس الاتجاه، «فهم» مع حزب الله في لبنان، وحماس في فلسطين، الجماعتين اللتين تنطلقان في مواقفهما من أسس مبدئية تعبر عن مصالحهما الوطنية الخاصة، ونيابة عن المجتمعات التي تنتشران فيها كما أنهما، حماس وحزب الله، تعبران عن الكثير من مظاهر الظلم المشروعة، ولا يوجد بينهما من جهة وبين أمريكا من جهة أخرى، أي تعارض أو مواجهة عندما يتعلق الأمر بمصالح أمريكا الوطنية. ويمكن والحالة هذه، للولايات المتحدة سحب الكثير من الموضوعات من على الطاولة والتمسك بتعزيز مصالحها، بما في ذلك المساعدة في هزيمة المتطرفين الحقيقيين. هذه الجماعات ليست متشابهة، وهي ليست كالقاعدة أو جزءاً منها، ولو ترك لها الخيار فلن تصلح القاعدة، أكثر مما أصبحت فينتام أداة في يد «إمبراطورية الشر». وفي حالة التحدث معها بهدوء ومساواة فقد تتحول لجماعات معارضة يمكن التحكم بها وإدارتها.

لقد اقترحت مجموعة بيكر - هاميلتون هذا التغيير في الاتجاه، كما دعا الرئيس كارتر إلى نقاش مخلص وصادق حول سياسة الولايات المتحدة. ومع ذلك فهذه الأصوات البراغمية المعتدلة من داخل المؤسسة لقيت معارضة من الفصائل الداعية للعسكرة ومن المحافظين الجدد، والتي يبدو أن لها يدا على الرئيس والكونغرس. إن إصلاح الضرر الذي ارتكب يقتضي اعترافاً بالقرارات الخاطئة والتحول نحو إحداث تغييرات جديّة في الإستراتيجية. وقد تتطلب التخلي عن فكرة أن القرار العسكري من طرف واحد يمكن أن يقدم حلاً للمشاكل السياسية والاجتماعية المعقدة. وفوق كل هذا فقد يقتضي أيضاً التخلي عن الشعوب والأمم العربية الإسلامية المتنوعة ما هي إلا عناصر متداخلة ضمن إطار إيديولوجي واحد، ويمكن التلاعب بها لصالح شخص أو شيء آخر، سواء كانت الحاجات الجيوسياسية للقوى العظمى، أو مواصلة تقديم الدعم غير المشروط لإسرائيل، أو حاجة الغرب الدائمة للنفط.

العالم اليوم يتطلع لمشاهدة ان كانت الولايات المتحدة مستعدة للتخلي عن حربها الإيديولوجية لصالح قيادة واعية وذكية/تفاوض بحذر وعدل من موقع القوة السياسي، مشفوعاً بتحريك حقيقي يعبر عن اهتمامات حقيقية. لا احد يطلب من الولايات المتحدة تجاهل الأجندات المتناقضة، ولكن ما يحتاجه العالم من أعظم قوة فيه، هو التوقف عن تحويل كل منافس محتمل لها - خاصة في العالم العربي والإسلامي - إلى عدو قاتل.

* أكاديمي وباحث وأحد أعضاء العائلة الملكية الحاكمة في المغرب

- 1 US· to double emergency equipment "stored in Israel," YNetNews.com, 12 December 2006 (<http://www.ynetnews.com/articles/0,7340,L-3338927,00.html>)
- 2 Meron Rappaport, "IDF commander: We fired more than a million cluster bombs in Lebanon," Haaretz, 12 September 2006. . (www.haaretz.com/hasen/spages/761781.html)
- 3 "Siniora criticises West for failing "model democracy," Gulfnews.com (from Los Angeles Times-Washington Post), <http://archive.gulfnews.com/indepth/israelattacks/Lebanon/10054034.html>, July 21, 2006.
- 4 "U.S. Considers New Aid to Lebanese Armed Forces," The Chosun Ilbo (from Voice of America), December 12, 2006 (<http://english.chosun.com/w21data/html/news/200612/200612160010.html>). See also, Megan K. Stack, "Lebanon builds up security forces," Los Angeles Times, December 1, 2006 (<http://www.latimes.com/news/nationworld/world/la-fg-lebsunnis1dec01,0,7181812,full.story.coll=la-home-headlines>).
- 5 Alastair Crooke and Mark Perry, "How Hezbollah Defeated Israel, Parts 1 and 2," Counterpunch.org, October 12, 2006, (<http://www.counterpunch.org/crooke10122006.html>) and October 13, 2006 (<http://www.counterpunch.org/crooke10132006.html>).
- 6 Chris Hedges, "Worse' than Apartheid." Truthdig.com (http://www.truthdig.com/report/item/20061218_worse_than_apartheid/)
- 7 Aaron Klein, "US Weapons Prompt Hamas Arms Race?" (www.wnd.com/news/article.asp?ARTICLE_ID=53411)
- 8 "A Clean Break: A New Strategy for Securing the Realm," The Institute for Advanced Strategic and Political Studies' Study Group on a New Israeli Strategy Toward 2000, Richard Perle, James Colbert, Charles Fairbanks, Jr., Douglas Feith, Robert Loewenberg, David Wurmser, and Meyrav Wurmser, et. al. (<http://www.iasps.org/strat1.htm>)
- 9 Tanya Reinhardt, "Introduction," The Road Map to Nowhere – Israel/Palestine since 2003. (www.zmag.org/content/showarticle.cfm?ItemID=11140).
- 10 Ahmed Rashid, "Accept Defeat by Taliban, Pakistan Tells Nato," Daily Telegraph (UK), November 30, 2006. (<http://www.telegraph.co.uk/news/main.jhtml?xml=/news/2006/11/29/wafghan29.xml>)
- 11 David Rohde, "Iran Is Seeking More Influence in Afghanistan," New York Times, December 27, 2006. (<http://www.nytimes.com/2006/12/27/world/asia/27afghan.ready.html?ei=5094&en=5e993b9fa9472987&hp=&ex=1167282000&partner=homepage&pagewanted=all>),